تفسير سورة القيامة

جزء تبارك والتعليق على تفسير السعدي

- رحمه الله -

لفضيلة الشيخ /

أ.د: سُلَيْمَان الرحيلي

- حفظه الله -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، والصلاةُ والسلامُ الأتمانِ الأكملانِ علىٰ المبعوثِ رحمةً للعالمين، وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ أَجْمَعِين.

أَمَّا بَعْدُ:

فمعاشر الفُضلاء؛ وبعد أن انتهينا من تفسير سورة "المدثر" ننتقل الآن إلى تفسير سورة [القيامة].

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾[القيامة:١] ﴿وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾[القيامة:٢] ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾[القيامة:٣] ﴿بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾[القيامة:٤] ﴿بَلْ يُرِيدُ الإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾[القيامة:٥] ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾[القيامة:٦].

في هذه السورة المكية يقسم الله -عزَّ وجلَّ- رحمة منه بخلقه، وإحسانًا لخلقه، يقسم بيوم القيامة، بالموت وما بعده من البعث والجزاء، وبكل نفس خيرة أو فاجرة، فإن كل نفس لوامة تلوم صاحبها أو تلوم غيرها، وكل نفس خيرة تلوم صاحبها على تقصيره أو على أنه لم يزدد من الخير، وكل نفس فاجرة تلوم صاحبها لأنها مترددة، متشككة، متحيرة، مضطربة، فهي لا تستقر؛ بل هي لوامة دائمًا، وكل نفس تلوم صاحبها يوم القيامة، النفس الخيِّرة تلوم صاحبها أنه لم يزدد من الحسنات والنفس الفاجرة تلوم صاحبها على ما قدم لها.

والمقسم عليه هنا محذوف؛ لأنه معلوم؛ لأنه مضمن في القسم وتدل عليه الآيات التالية.

وتقديره: لتبعثن ولتحاسبن، أقسم بيوم القيامة وبالنفس اللوامة لتبعثن ولتحاسبن، أيظن الإنسان الكافر أن لن نجمع عظامه؟! حيث تكون نخرة وأكلها التراب، بلى قادرين على أن نجمع عظامه كما أنشأناها أول مرة، بل نقدر على أن نسوي الخطوط في أصابعه التي يختص كل إنسان بها، ولا يشبه واحد منها آخر، فنقدر على أن نعيده كما كان من غير زيادة ولا نقصان، بل يريد هذا الإنسان الكافر من إنكار البعث والجزاء أن يطلق لنفسه شهواتها، وأن يفعل ما يريد من غير قيدٍ ولا وزاع، فتكذيبه بالبعث إنما سببه أنه يريد يفعل ما يهوى ويشتهي، ويفعل ما يريد، فهو يتعمد الكذب، يتعمد أن يظهر أنه ينكر البعث، وهو كاذب في الحقيقة، وإنما هذا فجور منه، ومن فجوره أنه يسأل

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم والمؤمنين متى يوم القيامة على سبيل الاستبعاد والإنكار والجحود، هذا اليوم الذي تتوعدوننا به متى؟! على سبيل استبعاد وقوعه وإنكار وقوعه، وجحود وقوعه، وهذا من فجوره.

نقرأ ما سطره الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى-.

(المتن)

قال -رحمه الله تعالى-: ليست {لا} [ها] هنا نافية.

(الشرح)

قال بعض المفسرين: لا هنا نافية؛ **ولكن تنفي ماذا؟**

قال بعضهم: تنفي القسم نفسه.

فالمعنى: لا أقسم؛ لأن الأمر لا يحتاج إلى قسم؛ بل هو مؤكد بذاته.

لكن هذا القول رُدَّ بنقل إجماع المفسرين على أن معنى ﴿لا أُقْسِمُ﴾، أقسم، فنقل هذا الرأي أبو الليث وغيره من إجماع المفسرين على أن معنى ﴿لا أُقْسِمُ﴾، أقسم، فليس نفيًا للقسم.

وقال بعضهم: تنفي زعم الكفار أنه لا بعث.

فالمعنى: ليس الأمر كما تزعمون أنه لا بعث، أقسم بيوم القيامة وأقسم بالنفس اللوامة، فلا نافية لكلام صادر من الكفار سابق.

وهنا وضعوا قاعدة: إن كل أمر أنكره بعض البشر يجوز أن يصدر القسم عليه بلا؛ لنفي كلام المنكرين.

إن كل أمر ثابت أنكره بعض البشر كالبعث يجوز أن يُصدر القسم عليه بلا؛ لتنفي كلامهم، وزعمهم الذي يخالف هذا الأمر الثابت.

والشيخ هنا يقول: ليست لا هنا نافية؛ لينفي هذا القول أن لا نافية؛ لأن بعض المفسرين قال إنها نافية، وعرفنا المعنى عندهم.

(المتن)

قال: [ولا زائدة].

(الشرح)

قال بعض المفسرين: إن لا زائدة.

وبعضهم يقول: صلة القسم، وهذا معنى زائدة.

والمراد منها وفائدتها: أن الأمر لا يحتاج إلى قسم؛ لكن الله يقسم رحمة بالخلق، وإحسانًا إليهم، وإلا فالأمر لا يحتاج أن يقسم عليه.

انتبهوا عندما يقولون زائدة ليس من جهة المعنى، ليس في القرآن شيء زائد؛ لكن المقصود أنه يمكن أن يستغنى عنها، ويمكن أن تثبت؛ لكن إثباتها أبلغ، لأن لها فائدة.

والفائدة: -ما ذكرنا- بيان أن المقسم عليه لا يحتاج إلى قسم؛ لكن الله يقسم إحسانًا منه، ورحمة بخلقه.

وقال بعضهم: هي زائدة للزينة؛ لأن العرب تزيد في الكلام لتزيينه، فهي تزاد في القسم لتزيين القسم.

وقال بعض المفسرين: إن معناها لأقسم، أي: بدون الألف التي في لا. **فمعناها**: لأقسم بيوم القيامة؛ فتكون تأكيدية للقسم لأقسم بيوم القيامة، ولأقسم بالنفس اللوامة.

(المتن)

قال -رحمه الله تعالى-: وإنما أتي بها للاستفتاح والاهتمام بما بعدها.

(الشرح)

هذا قاله بعض المفسرين، وهو اختيار الشيخ: أنه إنما أُتي بها للاستفتاح وللاهتمام بما بعدها، بما نسميه نحن بلفت النظر، لفت النظر إلى الكلام، عندما يقال ﴿لا أُقْسِمُ﴾ النفوس تتجه ويلتفت نظرها إلى الكلام.

(المتن)

ولكثرة الإتيان بها مع اليمين، لا يستغرب الاستفتاح بها، وإن لم تكن في الأصل موضوعة للاستفتاح.

(الشرح)

لأن بعضهم قال: يقبح أن يستفتح بلا.

الشيخ يقول هنا: هذا ليس بقبيح أن يستفتح بلا هنا، وأن تكون لمجرد الاستفتاح؛ لأنه قد جرى العمل بهذا في اللغة والقرآن.

(المتن)

قال: فالمقسم به في هذا الموضع، هو المقسم عليه، وهو البعث بعد الموت، وقيام الناس من قبورهم، ثم وقوفهم ينتظرون ما يحكم به الرب عليهم.

(الشرح)

لأن المقسم عليه هنا غير مذكور، وإنما -كما قلت لكم- هو محذوف مقدر يدل عليه القسم نفسه والآيات التي بعده.

وقال بعض المفسرين: ليس هنا مقسم عليه، وإنما هو مجرد قسم.

قلنا لهم: إذًا ما الفائدة أن يؤتى بقسم بدون مقسم عليه؟

قالوا: والفائدة بيان شأن ما ذُكِر في القسم؛ لأن القسم يكون فيه تعظيم وتفخيم، فيكون المراد تعظيم يوم القيامة، وتفخيم شأن النفس اللوامة على الوجه الذي سيأتي -إن شاء الله عزَّ وجلَّ-.

(المتن)

{وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ}، وهي جميع النفوس الخيرة والفاجرة.

سميت {لوامة} لكثرة ترددها وتلومها وعدم ثبوتها على حالة من أحوالها، ولأنها عند الموت تلوم صاحبها على ما فعلت.

(الشرح)

هذا قاله جماعة من المفسرين: أن هذا قسم بكل الأنفس؛ لأن كل نفس لوامة، على الوجه الذي ذكرته في مقدمة الكلام.

وقال بعض المفسرين: هي نفس الكافر والعاصي.

ومعنى اللوامة هنا: الملومة المذمومة.

ولا على هذا المعنى في ﴿لا أُقْسِمُ﴾: نافية، لا أقسم بنفس الكافر والعاصي لأنه لا شأن لها، فتكون لا هنا نافية على هذا القول.

وعكس بعض المفسرين وقال: هو قسم بنفس المؤمن دون نفس الفاجر والعاصي.

ومعنى اللوامة هنا: التي تحاسب صاحبها، تحاسبه على قصده ماذا أردت من قولك، ماذا أردت من فعلك، هل أردت وجه الله، هل أردت أن يثني الناس عليك أنك بليغ، وأنك عالم، تحاسب صاحبها على القصد، وتحاسبه على الفعل ماذا أردت من صلاتك، ماذا أردت من زكاتك، وتحاسبه على الأقوال ماذا أردت من قولك.

فمعنى اللوامة، أي: التي تحاسب صاحبها.

وهذا إنما يكون من المؤمن، أما الكافر والفاجر الذي انغمس في المعاصي فإنه لا تحاسبه نفسه، ولا تقف معه نفسه.

(المتن)

قال -رحمه الله-: بل نفس المؤمن تلوم صاحبها في الدنيا علىٰ ما حصل منه، من تفريط أو تقصير في حق من الحقوق، أو غفلة، فجمع بين الإقسام بالجزاء، وعلىٰ الجزاء، وبين مستحق الجزاء.

ثم أخبر مع هذا، أن بعض المعاندين يكذب بيوم القيامة، فقال: {أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَن لَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ}.

(الشرح)

أي: أيظن الإنسان الكافر المنكر البعث أن لن نجمع عظامه؟!

(المتن)

بعد الموت، كما قال في الآية الأخرىٰ: {قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ}؟

(الشرح)

إذًا المعنى: أيظن الكافر أن لن نعيد عظامه خلقًا جديدًا بعد أن صارت رفاتًا؟! وأنكر الكفار جمع العظام؛ لأن الجسد إنما يقوم على العظام، وإذا لم تجتمع العظام فلن يجتمع الجسد، فأنكروا جمع العظام لأن هذا يعني إنكار جمع الجسد كله، فإن الجسد لن يقوم إلا على عظم.

(المتن)

قال: فاستبعد من جهله وعدوانه قدرة الله علىٰ خلق عظامه التي هي عماد البدن، فرد عليه بقوله: {بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ}.

(الشرح)

({بَلَىٰ})، ثم يوقف هنا ({قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ}).

والتقدير: بلى، نقدر قادرين، أو نقوى قادرين، أو نجمع قادرين على أن نسوي بنانه.

(المتن)

أي: أطراف أصابعه وعظامه.

(الشرح)

هكذا كان يقول السلف، يقولون: البنان هو أطراف الأصابع.

وقالوا: إنما ذكر الأصابع هنا لأن عظامها أصغر العظام، ولأن جزئياتها أصغر أجزاء جسم الإنسان.

والعلماء المعاصرون زادوا على هذا معنى لا يخرج عنه، وقالوا: أن البنان هو ما يسمى اليوم بالبصمة، وهو هذه الخطوط التي توجد في أطراف الأصابع، وهي أمر من الإعجاز بمكان؛ لأنها لا تتكرر في إنسان آخر، لكل إنسان بصمته.

فنحن قادرون على أن نعيد هذه الخطوط التي يتميز بها كل إنسان عن غيره من الناس كما هي، فلسنا قادرين فقط على جمع العظام، بل قادرون على ما هو اعظم، وهو أن نعيد أجزاء الجلد كما هي، حتى أن نعيد الخطوط الموجودة في رؤوس الأصابع كما هي. وهذا مستلزم للقدرة على إعادة الإنسان كما هو.

(المتن)

قال: وذلك مستلزم لخلق جميع أجزاء البدن، لأنها إذا وجدت الأنامل والبنان، فقد تمت خلقة الجسد.

(الشرح)

أي: أن قادرون على أن نعيد جسد الإنسان كما كان من غير زيادة ولا نقصان.

وقال بعض العلماء المعنى: بل كنَّا قادرين في ابتداء خلقه على أن نجعل أصابع يديه ورجليه شيئًا واحدًا كخف الجمل، أو حافر الحمار، فلا يستطيع أن يفعل بها شيئًا، لا يمسك، ولا يعطي؛ لكنَّ خلقناها كما يراها.

وهذا دليل على القدرة بالوجود، الله -عزَّ وجلَّ- خلق الجمل وجعل له خفًا، وخلق الحمار وجعل له حافرًا، كان قادرًا على أن يخلق الإنسان ويجعل يديه ورجليه كخف الجمل؛ لكنه -سبحانه- لم يفعل؛ بل خلق للإنسان في يديه ورجليه ما يناسبه هو، وهذا دليل على عظم قدرة الله -سبحانه وتعالى-.

فإذا رأيت صنيعه في خلقه، كيف أنه جعل للجمل خفًا ياسب سيره في الصحراء، وجعل للحمار حافرًا يناسب حتى صعوده في الجبال، وجعل للإنسان يدًا فيها أصابع مفرقة ليست مجموعة، وليست في طول واحد؛ لان هذا الذي يناسبه، لو لم توجد هذه اليدج لتعطلت مصالح الإنسان. إذًا الله -سبحانه وتعالى- على كل شيء قدير، والذي قدر على الإيجاد بهذه الحكمة العظيمة قادر على الإعادة؛ بل الغعادة أهون عليه -سبحانه وتعالى-.

وقال بعض المفسرين: إن قادرون على أن نعيده إلى هيئته الأولى كما أن قادرون على أن نغير هيئته، ليس فقط أن قادرون على أن نعيده على هيئته الأولى، قادرون على أن نغير هيئته، فالله -سبحانه وتعالى- على كل شيء قدير.

(المتن)

قال -رحمه الله-: وليس إنكاره لقدرة الله تعالىٰ.

(الشرح)

هذا تفسير من الشيخ لقول الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾[القيامة:٥].

(المتن)

قال: وليس إنكاره لقدرة الله تعالىٰ قصورًا بالدليل الدال علىٰ ذلك، وإنما [وقع] ذلك منه لأن إرادته وقصده التكذيب بما أمامه من البعث.

(الشرح)

فهو فاجر كذاب، يعلم أنه كاذب؛ لكن الهوى أعماه؛ لأنه يريد أن يفعل ما يشتهي، فاعماه، فهو فاجر كذاب، عندما ينكر البعث هو فاجر كذاب مثل الملاحدة الآن الذين يقولون إنهم ينكرون وجود الله، وهم والله ثم والله يعلمون أنهم كذابون، ولو حصل لأحدهم شيء يجد أن قلبه ضرورة يتجه إلى الله -سبحانه وتعالى-؛ ولكنهم كذابون يريدون أن يعيشوا على الهوى، وقد ناظرنا بعضهم ووجدنا منهم هذا، الحقيقة إنما هم يريدون أن يسقطوا الوازع عن فعل الأشياء المشينة حتى يفعلوا ما يشتهون، وهكذا الكافر الذي يدعي أنه ينكر البعث هو فاجر كذاب، يعلم أنه كاذب؛ لكن الهوى أطغاه وأعماه، وغلف قلبه وأعمى بصيرته.

(المتن)

قال: والفجور: الكذب مع التعمد.

(الشرح)

وقيل: المعنى أن الكافر إنما يظهر التكذيب بيوم القيامة؛ ليطلق لنفسه عنانها لتفعل ما تشتهي وتهوى، **فما سبب إنكاره البعث؟** هواه وشهوته.

وقيل المعنى: أن الإنسان العاصي يعجل المعصية، ويسوف بالتوبة، يبادر بفعل المعاصي، وأما التوبة فيؤخرها، سوف أتوب، سوف أتوب، سوف أتوب، حتى يأتيه الموت وهو على معصيته.

قال -تعالى-: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾[القيامة:٧] ﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾[القيامة:٨] ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾[القيامة:٩] ﴿يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾[القيامة:١٠] ﴿كَلَّا لا وَزَرَ﴾[القيامة:١١] ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾[القيامة:١٢] ﴿يُنَبَّأُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾[القيامة:١٣] ﴿بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾[القيامة:١٤] ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾[القيامة:١٥].

في هذه الآيات يذكر الله -عزَّ وجلَّ- بعض ما يكون عند يوم القيامة، وبعض الأحوال التي تكون يوم القيامة، فإذا برق البصر. ولمع بصر الإنسان، وشخصت عينه عند الموت، وتحير واضطرب فثبت بصره يوم القيامة؛ مما يرى من الأهوال، ومن شدة الفزع، وخسف القمر، وذهب ضوؤه بالكلية، وجُمع بين الشمس والقمر في ذهاب الضوء، فلا ضوء في أحدهما.

فيقول الإنسان إذ ذاك عند قيام الساعة، ورؤية الحال عند البعث، متحيرًا: **أين المفر، أين الخلاص من هذه الأهوال؟**

فيكون الجواب: كلا، لا مفر، لا ملجأ ولا محيص إلى ربك يومئذ المنتهى والمرجع، فيُخْبر كل إنسان بما قدم من أعماله الصالحة والسيئة، في أول عمره وفي آخر عمره، وبما فعله في حياته، وبما سنه لمن بعده ففعله الناس بعد مماته مستنين به، بل الإنسان شاهد على نفسه، وعليه شهود من نفسه، حيث تشهد عليه جوارحه، ولو أرخى ستوره عند فعل المعصية، وتخفى بمعاصيه، فإنه لا تخفى على الله خافية، وشهوده من جوارحه معه، وشهوده من الملائكة معه، فكما أنه لا مفر له من شهوده في الدنيا فإنه لا مفر له يوم القيامة.

إذا أرخى على نفسه الستور، وتستر وخلى من أجل المعصية، فإن الله يراه ويسمعه، وإن الملائكة تشهد عليه وتكتب عليه، وإن جوارحه التي تلازمه ستشهد عليه يوم القيامة.

نقرأ ما كتبه الشيه ابن سعدي -رحمه الله تعالى-.

(المتن)

قال -رحمه الله-: ثم ذكر أحوال القيامة فقال: {فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ}، أي: إذا كانت القيامة برقت الأبصار من الهول العظيم.

(الشرح)

({بَرِقَ الْبَصَرُ})، بكسر الراء، أي: تحير ووقف فلم يطرف؛ لشدة الفزع والهوي.

﴿بَرَقَ﴾، وهي -أيضًا- قراءة معناها: لمع.

فالبصر يلمع ويتحير صاحب ويضطرب ويقف البصر حتى لا يطرف من شدة الفزع والهول.

(المتن)

قال: برقت الأبصار من الهول العظيم، وشخصت فلا تطرف كما قال تعالىٰ: {إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ}.

{وَخَسَفَ الْقَمَرُ} أي: ذهب نوره وسلطانه.

(الشرح)

وقيل: غاب في غير أوان غيابه.

قيل: ({وَخَسَفَ الْقَمَرُ})، ذهب ضوؤه ونوره.

وقيل: غاب في غير أوان غيابه.

(المتن)

{وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ} وهما لم يجتمعا منذ خلقهما الله تعالىٰ، فيجمع الله بينهما يوم القيامة.

(الشرح)

فيكونان معًا في وقت واحد، ويقربان من الخلائق؛ فيعرق الناس على قدر أعمالهم.

(المتن)

وتكور الشمس، ثم يقذفان في النار، ليرىٰ العباد أنهما عبدان مسخران، وليرىٰ من عبدهما أنهم كانوا كاذبين.

(الشرح)

أي: أنه يجمع بينهما في النار، لا لتعذيبهما، وإنما لتعذيب عبادهما، ولتبكيت عبادهما.

وقيل: يجمع الله بين القمر والشمس في ذهاب الضوء، فلا ضوء لأحدهما، لا للشمس ولا للقمر.

(المتن)

{يَقُولُ الإِنْسَانُ} حين يرىٰ تلك القلاقل المزعجات: {أَيْنَ الْمَفَرُّ} أي: أين الخلاص والفكاك مما طرقنا وأصابنا.

(الشرح)

وعلى هذا يكون الإنسان عامًا للمؤمن والكافر.

يقول عند عند البعث: أين المفر؛ لما يراه من الأهوال.

وقيل: يقول الكافر لا المؤمن أين المفر من جهنم وعذاب الله.

(المتن)

{كَلا لا وَزَرَ} أي: لا ملجأ لأحد دون الله.

(الشرح)

فالوزر هو: ما يلجئ إليه من جبل أو حصن أو غير ذلك.

({كَلا لا وَزَرَ}): كلا لا ملجأ يلجئ إليه في ذلك اليوم.

(المتن)

{إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ}.

(الشرح)

({الْمُسْتَقَرُّ}):

قيل: المنتهى والمرجع.

وقيل ({الْمُسْتَقَرُّ})، **هو:** المستقر في الآخرة حيث يقضي ـ الله بين العباد، فيصير أهل النار إلى النار، ويصير أهل الجنة إلى الجنة.

(المتن)

{إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ} لسائر العباد فليس في إمكان أحد أن يستتر أو يهرب عن ذلك الموضع، بل لا بد من إيقافه ليجزىٰ بعمله، ولهذا قال: {يُنَبَّأُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ} أي: بجميع عمله الحسن والسيء، في أول وقته وآخره، وينبأ بخبر لا ينكره.

(الشرح)

({بِمَا قَدَّمَ})، **أي:** بما قدم في أول عمره.

({وَأَخَّرَ})، **أي:** بما فعل في آخر عمره.

فلا يغيب من عمله شيء؛ بل ينبأ بما عمل في أول عمره وفي آخر عمره، إلا أن يكون عمل سيئًا فتاب منه، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له.

فيخبر الإنسان بجميع أعماله الحسنة والسيئة، ما قدمه في أول حياته وما فعله في آخر حياته.

وقيل (﴿بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾): بما قدم بما فعله وهو حي، وما اخر هي آثاره التي تركها للإنسان، ويقتدي الناس به فيها، فإن «مَن سَنَّ سُنَّةً حَسنةً فعمِلَ بِها ، كانَ لَهُ أجرُها وَمِثْلُ أجرِ مَن عملَ بِها ، لا يَنقُصُ مِن أجورِهِم شيئًا ومن سنَّ سنَّةً سيِّئةً فعملَ بِها»، أحدث لهم بدعة، علمهم بدعة، دلهم على بدعة، بيَّن لهم بدعة «كانَ عليهِ وزرُها وَوِزْرُ مَن عملَ بِها من بعده لا ينقصُ من أوزارِهِم شيئًا».

فالذي قدم: هو الذي عمله هو وهو حي.

والذي أخر: هو الذي عمله الناس بعد مماته مقتدين به، مستنين به.

وكلا الأمر ين صحيح، فالإنسان ينبأ بما قدم في أول حياته، وما فعل في آخر حياته، وما فعل في حياته، وما اقتدى الناس به فيه بعد مماته، كل هذا ينبأ به الإنسان.

والنبأ كما ذكرنا في سورة النبأ هو: الخبر العظيم الذي له شأن. فهذا الخبر ليس مجرد خبر، وإنما خبر عظيم له وقعه عليه يوم القيامة.

(المتن)

{بَلِ الإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ} أي: شاهد ومحاسب.

(الشرح)

فمعنى ({بَصِيرَةٌ}): شاهد.

(﴿بَلِ الإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾)، **لم ما قال الله بصير، وإنما قال:** (﴿بَصِيرَةٌ﴾)؟

قالوا: لأن بصر الإنسان إنما هو بالجوارح، فضمن الكلام الجوارح، فجاءت التاء هنا للدلالة على هذا؛ لأن الشاهد على الإنسان يوم القيامة إنما هو جوارحه، الشاهد على الإنسان من نفسه إنما هو الجوارح.

وقيل: ({بَلِ الإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ})، قيل: بصير بعيوب الناس، متجاهل لعيوب نفسه.

وقيل: بل الإنسان عالم بنفسه يعرف حقيقة نفسه وإن أظهر للإنسان خلاف ذلك، هو يعرف مقدار نفسه، يعرف هل هو إنسان يخاف الله أو لا يخاف الله، يعرف هل هو إنسان يطيع الله أو لا يطيع الله، وإن أظهر للناس خلاف ذلك، أو اعتذر عن أخطاءه للناس، فبعض الناس يذنب، يحلق لحيته وإذا

قالوا له: لماذا حلقت لحيتك؟ قال: والله عندي حساسية في الجلد، وهو يعرف أن ما عنده حساسية في الجلد، هو أعرف بنفسه حتى لو كذب على الناس ما يستطيع أن يكذب على نفسه، حتى لو أوجد أعذار للناس يسمعه الناس ما يستطيع أن يكذب على نفسه. وكل المعاني محتملة.

(المتن)

{وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ}.

(الشرح)

({مَعَاذِيرَهُ})، **أي:** أعذاره وإنكاره، كان ينكر كما يقول المشركون: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[الأنعام:٢٣]، فهو يلقي أعذاره وإنكاره.

(المتن)

قال: فإنها معاذير لا تقبل، ولا تقابل ما يقرر به العبد، فيقر به، كما قال تعالىٰ: {اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا}.

فالعبد وإن أنكر، أو اعتذر عما عمله، فإنكاره واعتذاره لا يفيدانه شيئًا، لأنه يشهد عليه سمعه وبصره، وجميع جوارحه بما كان يعمل

(الشرح)

ويشهد عليه الملكان، ويؤتى بكتابه.

(المتن)

ولأن استعتابه قد ذهب وقته وزال نفعه: {فَيَوْمَئِذٍ لا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ}.

(الشرح)

وقيل ({مَعَاذِيرَه})، **هي:** الستور التي يرخيها عند المعصية.

والستر بلغة أهل اليمن معذار، فمعاذير هنا جمع معذار، أي: لو ألقى الستور التي يستتر بها عن الناس عند فعل المعصية، فإن شهوده ملازمون له، الملائكة والجوارح تشهد عليه. نقف عند هذه النقطة.

(الأسئلة)

السؤال: هل الصدقة في ليلة القدر لها ميزة وفضيلة؟

الجواب: كل عبادة في ليلة القدر هي خير للإنسان من عبادته ثلاثًا وثمانين سنة وثلث، كل عبادة: الدعاء، صلة الرحم، بر الوالدين، قراءة القرآن، الصلاة، الصدقة، الكلمة الطيبة، البسمة في وجه أخيك، الإحسان إلى أخيك، البعد عن ظلمه، البعد عن أذيته، كل هذا يدخل في الخير، وليلة القدر في ثوابها وبركتها وما يكون للعبد المؤمن فيها من خير خيرٌ من ألف شهر، أي: خير من ثلاث وثمانين سنة وثلث ليس فيهن ليلة القدر.

ولذلك يحسن بالإنسان أن يكثر خيره في العشر ـ الأواخر في النهار وفي الليل؛ رجاء أن يصيب عمله ليلة القدر.

ومن أعظم ما يُعْمَل في ليلة القدر الدعاء؛ ولذلك ليالي العشر ـ ليالي الدعاء، أكثروا من الدعاء بقلوب سليمة، ادعوا لأنفسكم ولأقاربكم ووالديكم وأهليكم وجيرانكم، وادعو لعلماء المسلمين، وادعوا لولاة أمور المسلمين، وادعوا لبلاد المسلمين، وأعظم ما تدعون به لكم ولغيركم العفو والعافية.

السؤال: معتكف ويريد شراء الطعام عبر التطبيق، فما الحكم؟

الجواب: لا يجوز للمعتكف أن يطلب الطعام عن طريق التطبيقات وهو في المسجد؛ لأن هذا عقد بيع، والبيع في المسجد منهي عنه، وحرام على التحقيق من آراء العلماء، فيحرم على المعتكف أن يطلب الطعام وهو في داخل المسجد، إن أراد يخرج خارج الأبواب، ليس في الساحة، خارج الساحة ويطلب الذي يريد، ويتمم العملية، ثم لا بأس حتى لو جاء العامل بالطعام إلى مكانه ما في بأس؛ لكن لا يجري العقد وهو في المسجد، وإنما يكون في خارج المسجد.

البيع عن طريق التطبيقات عقد بيع مكتمل الأركان، فالذي يطلب عن طريق التطبيق في المسجد قد باع في المسجد واشترى، وهذا حرام ولا يجوز .

أسأل الله -عزَّ وجلَّ- بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا كما جمعنا في هذا الدرس في هذا اليوم من أيام رمضان أن يجمعنا ووالدينا وأهلينا وذرياتنا وأقاربنا وجيراننا في الفردوس الأعلى أجمعين، اللّٰهم لا تحرم منا أحدًا، اللّٰهم لا تحرم منا أحدًا، اللّٰهم لا تحرم منا أحدًا.

اللّٰهم يا ربنا إنك أعلم بنا من أنفسنا، اللّٰهم فمن علمته منا مطيعًا فثبته على الطاعة، وتقبل منه، وزده من الخير يا رب العالمين، ومن علمته عاصيًا اللّٰهم فكرهه في معصيته، وباعد بينه وبينها كما باعدت بين المشرق والمغرب يا رب العالمين.

اللّٰهم يا ربنا نسألك أن تجعل هذه الأيام والليالي من خير أيامنا، وخير لياليا يا رب العالمين.

اللّٰهم اكتب لنا فيها رضاك، واكتب لنا فيها جنتك، واكتب لنا فيها العتق من النار يا رب العالمين.

اللّٰهم يا حي يا قيوم يا قوي يا عزيز انصر المستضعفين من المسلمين والمسلمات في كل مكان، اللّٰهم احفظهم، اللّٰهم احفظهم، اللّٰهم احفظهم، اللّٰهم كن لهم، اللّٰهم كن لهم، اللّٰهم كن لهم.

اللّٰهم يا ربنا من علمته يكيد للتوحيد وأهله اللّٰهم فاكفه شره بما شئت يا رب العالمين.

اللّٰهم يا ربنا من علمته يكيد للسنة وأهلها اللّٰهم فاكفهم شره بما شئت يا رب العالمين.

اللّٰهم من علمته يكيد للإسلام والمسلمين ولبلاد المسلمين اللّٰهم فاكفهم شره بما شئت يا رب العالمين.

اللّٰهم يا ربنا ارزق المسلمين والمسلمات مغفرتك ورحمتك وأمنك يا رب العالمين، اللّٰهم ارزقهم الأمن والاستقرار في الأوطان، وزدهم يا ربنا من الإيمان، واكفنا وإياهم شر الفتن ما ظهر منها وما بطن.

اللّٰهم يا ربنا ثبتنا على التوحيد والسنة، اللّٰهم ثبتنا على التوحيد والسنة، اللّٰهم ثبتنا على التوحيد والسنة، واجعلنا نافعين للأمة، اللّٰهم اجعلنا نافعين للأمة، اللّٰهم اجعلنا نافعين للأمة. ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

والله -تعالى- أعلى وأعلم، وصلى الله على نبينا وسلم.